

أوجه الرحمة المتعلقة بالغيبيات
(النبوات، أنموذجًا)

إعداد:
سارة بنت فراج بن علي العقلاء
أستاذة العقيدة والمذاهب المعاصرة
بجامعة الأميرة نورة بنت عبدالرحمن






المؤتمر الدولي عن الرحمة في الإسلام





المقدمة

الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم، والصلاة على سيد المرسلين المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد؛ فالإيمان بالغيب ركن ركين في عقيدة المسلم، وتكاد تكون جميع أركان الإيمان من الإيمان بالغيب، وهو أول صفة مدح الله المؤمنين بها في كتابه، على أن الله الذي وسعت رحمته كل شيء والذي لا يكلف العباد ما لا يطيقون جعل لهم منهجا من خلال النصوص الشرعية، يوضح لهم صحة ما جاءت به الرسل من النصوص المتعلقة بالغيب، ويرشدهم إلى الطريق الصحيح في التعامل مع تلك النصوص، وهذا المنهج تجلى فيه احترام العقل إضافة لما فيه من مراعاة لطبيعة البشر؛ كيف لا وهو، الرحيم الذي وسعت رحمته كل شيء وتجلت هذه الرحمة في مواضع يصعب حصرها في جميع أبواب الإيمان ومنها ما يتعلق بالرسل والرسالات، أو ما اصطلح على تسميته بالنبوات. ورغبة في بحث هذا الأمر اخترت المشاركة في المؤتمر العالمي عن الرحمة ببحث في هذا الموضوع، وهو من ضمن المحور الثاني، وجعلته بعنوان: (أوجه الرحمة المتعلقة بالغيبيات النبوات، أنموذجًا).





ومشكلة البحث تتمثل في أن النبوات، أمور غيبية، والخلق مأمورون بالإيمان بها، والله هو الرحمن الرحيم، الذي لا يكلف العباد إلا ما في وسعهم. فهل يتعارض هذا مع ذاك ؟ وسيبحث البحث في الشواهد الدالة على رحمة الله في هذا الباب.

والهدف منه هو: بيان أوجه الرحمة في التعامل مع الحقائق الغيبية المتعلقة بالنبوات؛ وبالخصوص تلك المتمثلة في مراعاة طبيعة البشر،

وعدم تكليفهم ما لا يطيقون، ومخاطبة العقل واحترامه.

وسيكون المنهج المتبع هو: المنهج التحليلي بإذن الله.

أما عن تقسيمات البحث، فقد جعلته في مقدمة، وخمسة مباحث وخاتمة، يتلوها فهرس المصادر والمراجع، وفهرس الموضوعات.

المبحث الأول: الرحمة في دلالة العقل على الغيب.

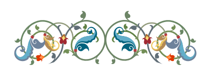
المبحث الثاني: الرحمة في مراعاة الفطرة في الحاجة للرسل.

المبحث الثالث: الرحمة في بعث الرسل من جنس البشر.

المبحث الرابع: الرحمة في بعث الرسل مؤيدين بالآيات والبراهين.

المبحث الخامس: الرحمة في إقامة الحجة بالرسل وعدم التعذيب قبل إرسال الرسل وإنزال الكتب.

ثم الخاتمة، ويتلوها فهرس المصادر والمراجع، وفهرس الموضوعات.









المبحث الأول
الرحمة في دلالة العقل على الغيب

وفيه ثلاث مسائل، تدور حول توضيح مفهوم الغيب، والموقف الواجب اتباعه أمام النص، والعلاقة بين العقل والغيب، وبيان الحكمة من الإيمان بالغيب.

المسألة الأولى
تعريف الغيب ومفهومه، ومنزلته من الدين

الغيب في اللغة: مصدر غاب يغيب غيبًا: أي استتر واحتجب، وهو بمعنى اسم الفاعل. قال ابن فارس: الغين والياء والباء أصل صحيح يدل على تستر الشيء عن العيون، من ذلك الغيب: ما غاب، مما لا يعلمه إلا الله[١].

وربما أريد به ما غاب عنك، وعلمه غيرك من الخلق؛ كما يغيب عنك من مطمئن الأرض الذي يغيب فيه داخله[٢].

قال الخليل: وكل شيء غيب عنك شيئًا فهو غيابة[٣]، وقال ابن الأعرابي: والغيب أيضًا ما غاب عن العيون، وإن كان محصلًا في القلوب. ويقال: سمعت صوتًا من وراء الغيب، أي من موضع لا أراه. وقد تكرر في الحديث



(١) مقاييس اللغة (٤/ ٤٠٣).
(٢) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (١/ ٨٤).
(٣) العين (٤/ ٤٥٥).



ذكر الغيب، وهو كل ما غاب عن العيون، سواء كان محصلًا في القلوب، أو غير محصل[1]. وجاء تعريف الغيب في المعاجم اللغوية بالشك. ويراد بالشك هنا: أي عكس اليقين، الذي هو المشاهد والمحسوس.

وإذا انتقلنا إلى النصوص الشرعية، فإنه يراد بالغيب: كل ما أخبرت به الرسل مما يتعلق بالإيمان بالله، وجميع أركان الإيمان، وهو ما لا يقع تحت الحواس، ولا تقتضيه بداهة العقول، وإنما يعلم بخبر الأنبيَّاء عليهم السلام[2].

وأما المراد بالغيب الذي مدح الله المؤمنين بالإيمان به، فقد تعددت أقوال العلماء في المراد به وتنوعت، ولا تعارض بين تلك الأقوال وهي من باب اختلاف التنوع لا التضاد، وها هي أقوالهم:

قال ابن عباس: الغيب ما أمرت بالإيمان به فيما غاب عن بصرك من الملائكة والبعث والجنة والنار والصراط والميزان.

وقيل: الغيب: هو الله تعالى، وقيل: القرآن. وقال الحسن: الآخرة. وقال زر بن حبيش وابن جريج: الوحي، وقال ابن كيسان: بالقدر، وقال عبدالرحمن بن يزيد: كنا عند عبدالله بن مسعود فذكرنا أصحاب محمد ﷺ وما سبقوا به، فقال عبدالله: إن أمر محمد كان بينا لمن رآه والذي لا إله غيره ما آمن أحد قط إيمانا أفضل من إيمان بغيب[3].

وعن الربيع بن أنس وأبي العالية: آمنوا بالله وملائكته ورسله واليوم الآخر، وجنته وناره ولقائه، وآمنوا بالحياة بعد الموت. فهذا كله غيب[4].

وهذه الأقوال السابقة جميعها كما قال ابن عطية لا تتعارض، بل يقع الغيب على جميعها[5].

(١) لسان العرب (١/ ٦٥٤).
(٢) تفسير القاسمي: محاسن التأويل (١/ ٢٤٤).
(٣) تفسير البغوي -إحياء التراث (١/ ٨٤).
(٤) تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر (١/ ٢٣٧ تفسير ابن أبي حاتم -محققا (١/ ٣٦).
(٥) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٨/١).







على أن أصل كل غيب هو الإيمان بالله؛ عن عطاء بن أبي رباح: من آمن بالله، فقد آمن بالغيب[١].

ويدخل في الإيمان بالغيب، الإيمان بجميع ما أخبر الله به من الغيوب الماضية والمستقبلة، وأحوال الآخرة، وحقائق أوصاف الله وكيفيتها، وما أخبرت به الرسل من ذلك، فيؤمنون بصفات الله ووجودها، ويتيقنونها، وإن لم يفهموا كيفيتها.

قال السعدي مبينا منزلة الإيمان بالغيب: حقيقة الإيمان: هو التصديق التام بما أخبرت به الرسل، المتضمن لانقياد الجوارح، وليس الشأن في الإيمان بالأشياء المشاهدة بالحس، فإنه لا يتميز بها المسلم من الكافر. إنما الشأن في الإيمان بالغيب، الذي لم نره ولم نشاهده، وإنما نؤمن به، لخبر الله وخبر رسوله. فهذا الإيمان الذي يميز به المسلم من الكافر، لأنه تصديق مجرد لله ورسله. فالمؤمن يؤمن بكل ما أخبر الله به، أو أخبر به رسوله، سواء شاهده، أو لم يشاهده، وسواء فهمه وعقله، أو لم يهتد إليه عقله وفهمه. بخلاف الزنادقة والمكذبين بالأمور الغيبية، لأن عقولهم القاصرة المقصرة لم تهتد إليها، فكذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ففسدت عقولهم، ومرجت أحلامهم. وزكت عقول المؤمنين المصدقين المهتدين بهدى الله[٢].

المسألة الثانية
وجوب التسليم للنص وعدم الاعتراض





قال الزهري ملخصًا الموقف مما أخبر به الرسول ﷺ من أمور الغيب:

(١) تفسير ابن أبي حاتم -محققا (١/ ٣٦).
(٢) تفسير السعدي: تيسير الكريم الرحمن (ص: ٤٠).



"من الله الرسالة، ومن الرسول البلاغ، وعلينا التسليم"[1] فالواجب في نصوص الغيب: التسليم والانقياد والإذعان.[2]

فيجب الإيمان بجمع ما ورد من أمور الغيب (متى صحت أخبارها، ولو لم ندرك كيفيتها؛ فنحن لم نؤت من العلم إلا قليلا، وهناك عالم غيبي لم نطلع عليه ولا على أحواله، والإيمان به من الإيمان بالغيب)[3].

قال الطحاوي: (ولا تثبت قدم الإسلام إلا على ظهر التسليم والاستسلام).

قال ابن أبي عبد العز: أي لا يثبت إسلام من لم يسلم لنصوص الوحيين، وينقاد إليها، ولا يعترض عليها ولا يعارضها برأيه ومعقوله وقياسه.[4]

ويحرم على المرء أن يطلب معرفة ما حجب عنه من علم الغيب (كأن يريد أن يعلم كيفية الصفات، أو يريد أن يعلم حقائق الآخرة.) لأن الخوض في هذه الأمور الغيبية وإقحام العقل فيما لا يستطيع الوصول إليه، له نتائج وخيمة؛فقد يؤثر على إيمان المرء، وربما أوقعه في الوسوسة المنهي عنها كما قال الطحاوي: (فمن رام علم ما حظر عنه علمه، ولم يقنع بالتسليم فهمه، حجبه مرامه عن خالص التوحيد، وصافي المعرفة، وصحيح الإيمان؛ فيتذبذب بين الكفر والإيمان، والتصديق والتكذيب، والإقرار والإنكار، موسوسًا تائهًا، شاكًا زائغًا، لا مؤمنًا مصدقًا، ولا جاحدًا مكذبًا). وذكر شارح الطحاوية ابن أبي العز أمثلة ممن خاض في هذا العلم، وكيف انتهى أمرهم إلى الحيرة والضلال والشك.[5]

فهذا القصد السيئ وهو: طلبه الوصول لما غُيب عنه حجبه عن صافي

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب تفسير قوله تعالى :(يا أيها الرسول بلغ ما أنزل.) صحيح البخاري (٩/ ١٥٤).

(٢) شرح الطحاوية، الراجحي، ص١٣٧.

(٣) توضيح الأحكام من بلوغ المرام (١/ ٣٤٦).

(٤) شرح الطحاوية ت الأرناؤوط (١/ ٢٣١).

(٥) شرح الطحاوية ت الأرناؤوط (١/ ٢٤٣).





المعرفة، وصحيح الاعتقاد، وصحة الإيمان، فصار في إيمانه خلل، وفي تحقيقه للتوحيد ضعف ونقص، وفي إيمانه دخن؛ لأنه طلب شيئًا ممنوعا منه. علاوة على أنه لن يستطيع أن يصل إليه لقصور عقله(٦).

وإذا كان من خاض في المنهي عنه لم يسلم، وحجب عن خالص التوحيد؛ لذا كان (عدم الاعتراض في أمور العقائد والتوحيد على النصوص يُعطى العبد به نور، ويُخلص توحيده، وتصفى معرفته وعلمه، ويصح إيمانه).(٧)

ثم إنه كما سبق (أمور الغيب لا يمكن أن يجري عليها كلمة (لم؟) أبدا، ولا كلمة: (كيف؟) لأن الأمر فوق عقولنا، ولهذا لما سألوا الرسول عن الروح ماذا قال الله لهم؟ قال: ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي﴾[الإسراء: ٨٥]

أمر ما تستطيعون أن تدركوه، ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾[الإسراء:٨٥] أكثر العلوم فاتتكم وهذا عجب! روحك التي بين جنبيك، التي لا قوام لك إلا بها لا تدري ما هي؟! نحن لا نعلم من الروح، إلا ما جاءت به النصوص في القرآن والسنة، وإلا فلا ندري)(٨).

المسألة الثالثة
العلاقة بين العقل والغيب، وأوجه الرحمة في ذلك

لما كان الإيمان بالغيب مما يتميز به الإنسان عن الحيوان، إذ يشترك معه في المحسوس، ويتميز عنه في غير المحسوس، والإنسان يتميز بالعقل،

(٦) شرح الطحاوية للراجحي (ص: ١٣٩، بترقيم الشاملة آليًا).
(٧) شرح الطحاوية لصالح آل الشيخ: إتحاف السائل بما في الطحاوية من مسائل (ص: ١٥٤، بترقيم الشاملة آليًا).
(٨) لقاء الباب المفتوح (١٦٩/ ١٧، بترقيم الشاملة آليًا).





فهذا يشير إلى أن هناك علاقة بين العقل وبين الإيمان بالغيب وضرورة الاستسلام للنص، لأن العقائد مبنية على الغيبيات؛ (والغيبيات لها برهان إجمالي، وهو القرآن والسنة)[1].

والذي دل على صحة الكتاب والسنة هو العقل، فالعقل هو دليل النقل، وأشار شارح الطحاوية إلى المثل (المضروب للنقل مع العقل، وهو: أن العقل مع النقل كالعامي المقلد مع العالم المجتهد، بل هو دون ذلك بكثير، فإن العامي يمكنه أن يصير عالمًا، ولا يمكن للعالم أن يصير نبيًا رسولًا، فإذا عرف العامي المقلد عالمًا، فدل عليه عاميًّا آخر. ثم اختلف المفتي والدال، فإن المستفتي يجب عليه قبول قول المفتي، دون الدال، فلو قال الدال: الصواب معي دون المفتي، لأني أنا الأصل في علمك بأنه مفتٍ، فإذا قدمت قوله على قولي قدحت في الأصل الذي به عرفت أنه مفتٍ، فلزم القدح في فرعه! فيقول له المستفتي: أنت لما شهدت له بأنه مفت، ودللت عليه، شهدت له بوجوب تقليده دونك)[2].

ثم بيَّن أن من يعترض على النص بناء على عقله المجرد، فهو ليس بمؤمن في الحقيقة؛ فيقول : (وقد علمنا تضمن كل منهما أشياء كثيرة تناقض ما علمناه بعقولنا، ونحن إنما علمنا صدقك بعقولنا، فلو قبلنا جميع ما تقوله مع أن عقولنا تناقض ذلك لكان قدحًا فيما علمنا به صدقك، فنحن نعتقد موجب الأقوال المناقضة لما ظهر من كلامك، وكلامك نعرض عنه، لا نتلقى منه هديا ولا علما، لم يكن مثل هذا الرجل مؤمنا بما جاء به الرسول ﷺ، ولم يرض منه الرسول ﷺ بهذا)[3].

(١) شرح الطحاوية لصالح آل الشيخ: إتحاف السائل بما في الطحاوية من مسائل (ص: ١٥٠، بترقيم الشاملة آليًا).
(٢) شرح الطحاوية ت الأرناؤوط (١/ ٢٣٢).
(٣) شرح الطحاوية ت الأرناؤوط (١/ ٢٣١).







وأما دعوى معارضة العقل للنقل فهي دعوى غير صحيحة فلا يمكن أن يخالف العقل الصريح نقلًا صحيحًا، لكن إذا جاء من يدعي ذلك فإن كان النقل صحيحا فذلك الذي يدعي أنه معقول ليس عقلًا صريحًا، أو يكون النقل غير صحيح. وفي حال توهم معارضة العقل للنقل فإنه يجب (تقديم النقل، لأن الجمع بين المدلولين جمع بين النقيضين، ورفعهما رفع النقيضين، وتقديم العقل ممتنع، لأن العقل قد دل على صحة السمع، ووجوب قبول ما أخبر به الرسول ﷺ، فلو أبطلنا النقل لكنا قد أبطلنا دلالة العقل، ولو أبطلنا دلالة العقل لم يصلح أن يكون معارضًا للنقل، لأن ما ليس بدليل لا يصلح لمعارضة شيء من الأشياء، فكان تقديم العقل موجبًا عدم تقديمه)[1].

وما جاء في الوحي يعد توضيحًا وبيانًا لأمر لا يستطيع العقل التوصل إليه، (فإذا ورد النص بأمور غيبية، كان هذا بالنسبة للعقل من قبيل تفصيل ما أجمل، لا أكثر، فإذا انضم إلى ذلك شهادة العقل وتسليمه المطلق سلفًا بصدق النص وصحته، لم يبق هنالك أدنى شبهة للتعارض)[2].

وكان التسليم للنص من أعظم صفات المتقين، بسبب (أن العقول لا تدرك الغيب، ولا تستقل بمعرفة الشرائع؛ لعجزها وقصورها؛ فكما أن سمع الإنسان قاصر، وبصره كليل، وقوته محدودة، فكذلك عقله، فتعين الإيمان بالغيب والتسليم لله -عز وجل-)[3].

ومن رحمة الله بالبشر أن: (الإنسان -في هذا العصر أكثر العصور تقدما في الكشوف والاختراعات-أعلن عجزه وقصوره عن إدراك أكثر حقائق الكون وكنه طاقاته، حتى تلك الأشياء التي يمارسها ويعيشها يوميًا، إن العقل يجهل نفسه، ويجهل الروح التي تمده بالحياة بأمر

(١) شرح الطحاوية ت الأرناؤوط (١/ ٢٢٨).
(٢) منهج الأشاعرة في العقيدة (ص: ٥١).
(٣) رسائل الشيخ الحمد في العقيدة (٧/ ٣).



الله)[١]. فإذا كان الإنسان لم يتوصل إلى معرفة تفاصيل ما في هذا الكون المحسوس من أجرام سماوية على سبيل المثال مع ما وصل إليه من علم ومعرفة وجزمه بوجودها ورؤيته لها؛ فلأن لا يتوصل إلى حقيقة الأمور الغيبية الماضية والمستقبلية من باب أولى.

وتجلت حكمة الله ورحمته بالخلق بإعفائهم من الخوض بالغيب إكراما (لهذا الإنسان، وإشفاقًا عليه، وعلى عقله المحدود، من التشرد والتبدد والتيه، وإشفاقًا عليه بعد ذلك من الضلال والهلاك، وسوء العاقبة، أراحه الله من الخوض في الغيب بعقله؛ فجاءه الوحي يخبره عما فيه صلاحه من أصول العقيدة السليمة، ومسائل الغيب، ورسم له سبيل الخير والسعادة في الدنيا، وأطلق لعقله فيما عدا ذلك الحرية كل الحرية. فقد فتح الإسلام للعقل من مجالات البحث والفكر والتأمل والنظر في ملكوت السماء والأرض، ما يكفي لانشغال العقل، وإشباع رغبة التطلع والإنتاج المفطورة فيه)[٢].

ثم النصوص دالة على ضرورة مراعاة المستوى العقلي للمخاطبين، كما قال عبدالله بن مسعود: «ما أنت بمحدث قومًا حديثًا لا تبلغه عقولهم، إلا كان لبعضهم فتنة»[٣].

ومن حكم إخفاء الغيب: إظهار المؤمن من غيره، ذلك أن (الإيمان بالغيب هو الإيمان النافع، وأما الإيمان بالشهادة فكل أحد يؤمن يوم القيامة يوم لا ينفع نفسًا إلا إيمانها في الدنيا، فلو خلقوا في دار النعيم لم ينالوا درجة الإيمان بالغيب واللذة والكرامة الحاصلة بذلك لا تحصل بدونه؛ بل كان الحاصل لهم في دار النعيم لذة وكرامة غير هذه)[٤].

(١) نقض أصول العقلانيين، ٣/ ٣٣، بترقيم الشاملة آليًا.
(٢) المدرسة العقلية الحديثة في ضوء العقيدة الإسلامية، بحث مرقوم على الآلة الكاتبة لنيل درجة الماجستير من جامعة الإمام. (ص١٨-٢٢). نقلا عن نقض أصول العقلانيين (٣/ ٣٣).
(٣) صحيح مسلم (١/ ١١).
(٤) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة (١/ ٤).







أخيرا لما كانت جميع أركان الإيمان من الإيمان بالغيب، فإن الله الرحيم بعباده، الذي وسعت رحمته كل شيء، أقام في هذا الكون الفسيح الحسي المشاهد شواهد ودلائل على عالم الغيب، بعضها أمور محسوسة عن طريق الآلات الحديثة، والأخرى يرى آثارها، وهذا يجعلنا نجزم بوجودها، وروح الانسان التي بين جنبيه كما سبق هي من الأدلة الحسية على ذلك. الكهرباء التي ننعم بآثارها لم نرها. الأصوات والذبذبات والأجسام البعيدة كالنجوم والبالغة الصغر كالفيروسات لا نراها، لكن نجزم بوجودها، لأننا نرى آثارها . فسبحان من وسعت رحمته كل شيء.









المبحث الثاني
الرحمة في مراعاة الفطرة في الحاجة للرسل

وفيه مسألتان :

المسألة الأولى
أوجه حاجة البشر للرسل

حصر الحليمي أوجه الانتفاع والحاجة للرسل بالأوجه المتعلقة بالدين، وجعلها أربعة، أولها: (أن الخلق جبلوا على النقصان، وقلة الفهم، وعدم الدراية، فهو صلوات الله عليه أورد عليهم وجوه الدلائل ونقحها، وكلما خطر ببالهم شك أو شبهة أزالها، وأجاب عنها. والثاني: أن الخلق وإن كانوا يعلمون أنه لا بد لهم من خدمة مولاهم، ولكنهم ما كانوا عارفين بكيفية تلك الخدمة، فهو شرح تلك الكيفية لهم حتى يقدموا على الخدمة آمنين من الغلط ومن الإقدام على ما لا ينبغي. والثالث: أن الخلق جبلوا على الكسل والغفلة والتواني والملالة فهو يورد عليهم أنواع الترغيبات والترهيبات، حتى إنه كلما عرض لهم كسل أو فتور، نشطهم للطاعة ورغبهم فيها. الرابع: أن أنوار عقول الخلق تجري مجرى أنوار البصر، ومعلوم أن الانتفاع بنور البصر لا يكمل إلا عند سطوع نور الشمس، ونوره عقلي إلهي يجري مجرى





طلوع الشمس، فيقوي العقول بنور عقله، ويظهر لهم من لوائح الغيب ما كان مستترًا عنهم قبل ظهوره، فهذا إشارة حقيقية إلى فوائد أصل البعثة)[١].

على أن الحاجة للرسل فوق ما ذكره الحليمي، فهي حاجة فطرية، والإنسان بفطرته محتاج إلى التدين، كما قال تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًاۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَاۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الروم:٣٠] ونصبت «فطرة» على المصدر من معنى قوله: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ﴾، وذلك أن معنى ذلك: فطر الله الناس على ذلك فطرة.[٢] وهو فطرة الله الذي على الإعداد له فطر البشر لكن تعرضهم العوارض[٣].



فحاجة البشرية كافة للرسل أعظم الحاجات، وفي حين يستغني الخلق عن كثير من الضروريات، إلا أنهم لا يستغنون عن هذه الحاجة، وهذه من أعظم المنن، التي امتن الله بها على عباده؛ إذ كيف ستكون حياة البشرية بدون رسل يرشدونها ويبينون لها طريقها، وماذا ينتظرها؟

ستكون ظلمات بعضها فوق بعض بل ستعدم حقيقة الحياة، وستكون موتًا في صورة حياة.

يقول ابن تيمية: (والرسالة ضرورية للعباد لا بد لهم منها، وحاجتهم إليها فوق حاجتهم إلى كل شيء. والرسالة روح العالم ونوره وحياته. فأي صلاح للعالم إذا عدم الروح والحياة والنور؟ والعبد ما لم تشرق في قلبه شمس الرسالة ويناله من حياتها وروحها فهو في ظلمة؛ وهو من الأموات)[٤].

ويشير إلى أن الله سمى الرسالة: الروح والحياة، فيقول: (قال الله

(١) تفسير الرازي: مفاتيح الغيب، أو التفسير الكبير (٩/ ٤١٨/ ٤١٩).
(٢) تفسير الطبري: جامع البيان ت شاكر (٢٠/ ٩٧).
(٣) تفسير ابن عطية: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤/ ٣٣٦).
(٤) مجموع الفتاوى (١٩/ ٩٣).



تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الإنعام:١٢٢].

فهذا وصف المؤمن كان ميتا في ظلمة الجهل، فأحياه الله بروح الرسالة ونور الإيمان، وجعل له نورًا يمشي به في الناس. وأما الكافر فميت القلب في الظلمات. وسمى الله تعالى رسالته روحًا، والروح إذا عدم فقد فقدت الحياة)[١].

والأوجه التي يتبين بها الحاجة للرسل عند ابن تيمية تنطلق من الرسالة، التي بعثوا بها والتي أمروا بتبليغها؛ فيقول: (فإن الله سبحانه جعل الرسل وسائط بينه وبين عباده في تعريفهم ما ينفعهم وما يضرهم، وتكميل ما يصلحهم في معاشهم ومعادهم، وبعثوا جميعًا بالدعوة إلى الله، وتعريف الطريق الموصل إليه، وبيان حالهم بعد الوصول إليه)[٢].

وهذه الأصول الثلاثة عليها (مدار الخلق والأمر والسعادة والفلاح موقوفة عليها، ولا سبيل إلى معرفتها إلا من جهة الرسل؛ فإن العقل لا يهتدي إلى تفاصيلها ومعرفة حقائقها، وإن كان قد يدرك وجه الضرورة إليها)[٣].

فالحاجة إلى الرسالة ليست مقتصرة على صلاح الآخرة فحسب، بل على صلاح الدنيا أيضًا؛ يقول ابن تيمية: (والرسالة ضرورية في إصلاح العبد في معاشه ومعاده، فكما أنه لا صلاح له في آخرته إلا باتباع الرسالة، فكذلك لا صلاح له في معاشه ودنياه إلا باتباع الرسالة؛ فإن الإنسان مضطر إلى الشرع؛ فإنه بين حركتين: حركة يجلب بها ما ينفعه؛ وحركة يدفع بها ما يضره. والشرع هو النور الذي يبين ما ينفعه



(١) مجموع الفتاوى (١٩/ ٩٤).
(٢) مجموع الفتاوى (١٩/ ٩٥).
(٣) مجموع الفتاوى (١٩/ ٩٦).





وما يضره، والشرع نور الله في أرضه وعدله بين عباده، وحصنه الذي من دخله كان آمنًا)[١].



ويؤكد على أنه (لولا الرسالة لم يهتد العقل إلى تفاصيل النافع والضار في المعاش والمعاد. فمن أعظم نعم الله على عباده، وأشرف مننه عليهم: أن أرسل إليهم رسله؛ وأنزل عليهم كتبه؛ وبين لهم الصراط المستقيم، ولولا ذلك لكانوا بمنزلة الأنعام والبهائم؛ بل أشر حالًا منها فمن قبل رسالة الله واستقام عليها فهو من خير البرية، ومن ردها وخرج عنها فهو من شر البرية وأسوأ حالًا من الكلب والخنزير والحيوان البهيم)[٢].

وبقاء هذه الحياة الدنيا مرتبط بالرسالة وآثارها، يقول ابن تيمية: (والدنيا كلها ملعونة ملعون ما فيها إلا ما أشرقت عليه شمس الرسالة وأسس بنيانه عليها، ولا بقاء لأهل الأرض إلا ما دامت آثار الرسل موجودة فيهم، فإذا درست آثار الرسل من الأرض وانمحت بالكلية خرب الله العالم العلوي والسفلي وأقام القيامة)[٣].

المسألة الثانية
رحمة الله بالعالمين ببعثة محمد ﷺ

هذا بالنسبة لرحمة الله في بعث الرسل بشكل عام؛ أما رحمته تعالى ببعث محمد، فقد قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبيَّاء:١٠٧] فهو رحمة للبشرية جمعاء: مؤمنها وكافرها، كما قال ابن عباس: هذا عام للبر والفاجر، من آمن بالله واليوم الآخر، كتب له الرحمة



(١) مجموع الفتاوى (١٩/ ٩٩).
(٢) مجموع الفتاوى (١٩/ ١٠٠).
(٣) مجموع الفتاوى (١٩/ ١٠١).



في الدنيا والآخرة وتمت له، ومن لم يؤمن بالله ورسوله، عوفي مما أصاب الأمم من الخسف والقذف صرفت عنه العقوبة إلى الموت والقيامة.(١)

وهو القول الذي رجحه الطبري، فقال: وأولى القولين في ذلك بالصواب: القول الذي روي عن ابن عباس، وهو أن الله أرسل نبيه محمدًا رحمة لجميع العالم، مؤمنهم وكافرهم. فأما مؤمنهم فإن الله هداه به، وأدخله بالإيمان به، وبالعمل بما جاء من عند الله الجنة. وأما كافرهم فإنه دفع به عنه عاجل البلاء الذي كان ينزل بالأمم المكذبة رسلها من قبله.(٢)

وعن أبي هريرة قال: قيل: يا رسول الله، ادع على المشركين، قال: «إني لم أبعث لعانًا، وإنما بعثت رحمة».(٣) في الحديث الآخر: «إنما أنا رحمة مهداة».(٤)

فهو ﷺ كما قال البقاعي: رحمة للعالمين كلهم، أهل السماوات وأهل الأرض من الجن والإنس وغيرهم، طائعهم بالثواب، وعاصيهم بتأخير العقاب، الذي كنا نستأصل به الأمم.(٥)

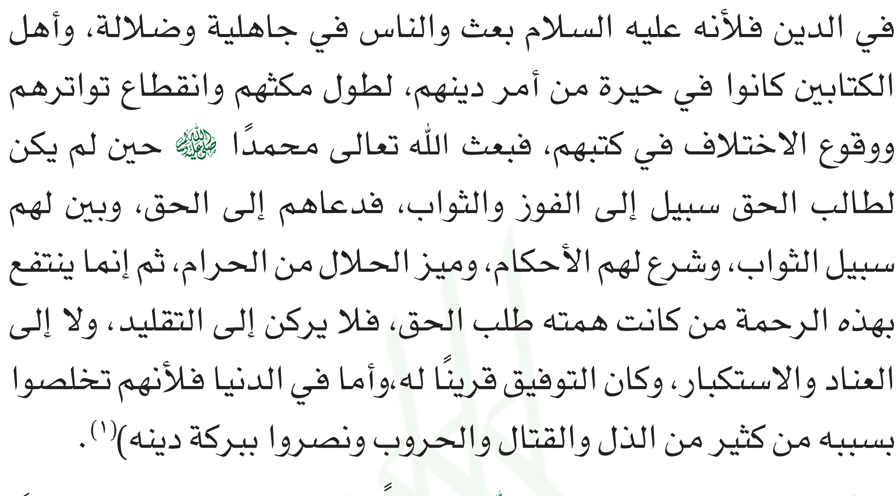
وأكد على هذا المعنى الشوكاني فقال: والاستثناء مفرغ من أعم الأحوال والعلل، أي: ما أرسلناك لعلة من العلل إلا لرحمتنا الواسعة، فإن ما بعثت به سبب لسعادة الدارين. ومعنى كونه رحمة للكفار: أنهم آمنوا به من الخسف والمسخ والاستئصال.(٦)

وذكر الرازي (أنه عليه السلام كان رحمة في الدين وفي الدنيا، أما

(١) تفسير الطبري: جامع البيان ت شاكر (١٨/ ٥٥٢) زاد المسير في علم التفسير (٣/ ٢١٨).
(٢) تفسير الطبري: جامع البيان ت شاكر (١٨/ ٥٥٢).
(٣) صحيح مسلم برقم (٢٥٥٩).
(٤) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط ٢٩٨١، وسنده صحيح كما في السلسلة الصحيحة (١/ ٨٠٣) للألباني رقم: ٤٩٠.
(٥) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١٢/ ٥٠٩).
(٦) فتح القدير للشوكاني (٣/ ٥٠٨)







في الدين فلأنه عليه السلام بعث والناس في جاهلية وضلالة، وأهل الكتابين كانوا في حيرة من أمر دينهم، لطول مكثهم وانقطاع تواترهم ووقوع الاختلاف في كتبهم، فبعث الله تعالى محمدًا ﷺ حين لم يكن لطالب الحق سبيل إلى الفوز والثواب، فدعاهم إلى الحق، وبين لهم سبيل الثواب، وشرع لهم الأحكام، وميز الحلال من الحرام، ثم إنما ينتفع بهذه الرحمة من كانت همته طلب الحق، فلا يركن إلى التقليد، ولا إلى العناد والاستكبار، وكان التوفيق قرينًا له،وأما في الدنيا فلأنهم تخلصوا بسببه من كثير من الذل والقتال والحروب ونصروا ببركة دينه)[١].

أما وجه الإحسان في كونهﷺ مبعوثًا إلى كل العالمين: (كونه داعيًا لهم إلى ما يخلصهم من عقاب الله، ويوصلهم إلى ثواب الله)[٢].

ويذكر الشنقيطي أن بعثة محمدﷺ كانت رحمة عظمى للمؤمن والكافر، ويشير إلى أن (بعض أهل العلم لهذا مثلًا، قال: لو فجر الله عينًا للخلق غزيرة الماء، سهلة التناول، فسقى الناس زروعهم ومواشيهم بمائها، فتتابعت عليهم النعم بذلك، وبقي أناس مفرطون كسالى عن العمل، فضيعوا نصيبهم من تلك العين. فالعين المفجرة في نفسها رحمة من الله، ونعمة للفريقين. ولكن الكسلان محنة على نفسه، حيث حرمها ما ينفعها)[٣].





(١) تفسير الرازي: مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٢٢/ ١٩٣).
(٢) تفسير الرازي: مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٩/ ٤١٨).
(٣) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٤/ ٢٥١).



المبحث الثالث
الرحمة في بعث الرسل من جنس البشر

وفيه مسألتان: في الأولى سأناقش طلب الكفار أن يرسل رسولًا من الملائكة، وسأبين السبب في عدم ذلك، وسأذكر حِكَم بعث الرسل من جنس البشر، والمسألة الثانية: سأذكر فيها اتصاف الرسل بصفات الكمال البشري ليسهل ويتيسر اتباع الناس لهم.

المسألة الأولى
مناقشة طلب الكفار أن يبعث الله رسلًا من الملائكة

كان من أعظم الشبه التي صدت الناس عن اتباع الرسل جهلًا منهم، هي: كونهم بشرا؛ يقول تعالى: ﴿ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴾ [الإنعام: ٩٤] فهذا اعتراضهم وكان الرد عليهم بقول الله تعالى: ﴿ قُل لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴾ [الإنعام: ٩٥].

فأجابهم الله بسنته في بعث رسول من جنس المرسل إليهم، ولو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين، لنزل الله عليهم من السماء ملكًا رسولًا لأن الملائكة إنما تراهم أمثالهم من الملائكة، ومن خصه الله من بني آدم





برؤيتها، فأما غيرهم فلا يقدرون على رؤيتها، فكيف يبعث إليهم من الملائكة الرسل، وهم لا يقدرون على رؤيتهم، وهم بهيئاتهم التي خلقهم الله بها، وإنما يرسل إلى البشر الرسول منهم، فلو بعث إليهم ملك لنفرت طباعهم من رؤيته، ولم تحتمله أبصارهم، ولا تجلدت له قلوبهم[1].

وهذا من لطفه تعالى ورحمته بعباده: أن بعث إليهم الرسول من جنسهم، ليفقهوا عنه ويفهموا منه، لتمكنهم من مخاطبته ومكالمته، ولو بعث إلى البشر رسولاً من الملائكة لما استطاعوا مواجهته، ولا الأخذ عنه[2].



ووجه آخر من وجوه رحمته بهم تعالى أنه لو أنزل ملكًا على ما سألوا، ثم كفروا ولم يؤمنوا، لجاءهم العذاب عاجلًا غير آجل، ولم ينظروا فيؤخروا بالعقوبة مراجعة التوبة، كما فعل بمن قبلهم من الأمم التي سألت الآيات، ثم كفرت بعد مجيئها، من تعجيل النقمة، وترك الإنظار، وذلك أنهم لو آتاهم ملك في صورته لماتوا، ثم لم يؤخروا طرفة عين أو يأتيهم العذاب وتقوم الساعة.[3] فهذه الأقوال الثلاثة التي قيلت في منع إرسال الرسول الملكي إلى البشر كلها دالة ومتضمنة لرحمة الله بالبشر.

ويرجح ابن عطية القول بأنه لو نزل الملك لماتوا من هول رؤية الملك في صورته، ويؤيد ترجيحه هذا بالآية التي تليها فيقول: إن أهل التأويل مجمعون أن ذلك لأنهم لم يكونوا يطيقون رؤية الملك في صورته، فالأولى في قوله لقضي الأمر أي لماتوا من هول رؤيته، وقوله عز وجل: (ولو جعلناه) الآية المعنى: أنا لو جعلناه ملكًا لجعلناه ولا بد في خلق رجل، لأنهم لا طاقة لهم على رؤية الملك في صورته[4].

(١) تفسير الطبري: جامع البيان ت شاكر (١٧/ ٥٥٨)، تفسير ابن عطية: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٣/ ٤٨٦).
(٢) تفسير ابن كثير ت سلامة (٥/ ١٢١).
(٣) تفسير الطبري: جامع البيان ت شاكر (١١/ ٢٦٨).
(٤) تفسير ابن عطية: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٢/ ٢٧٠).



ويشير الرازي إلى نفس المعنى، وأن (البشر لا يقدر على مخاطبة الملك ومباشرته. وقد كان النبي، ﷺ وهو أقوى الخلق، إذا نزل عليه الملك كرب لذلك، وأخذه البرحاء، وتحدر منه العرق في اليوم الشاتي.)[1].

ويذكر الرازي أن من رحمة الله أنه لم ينزل الملك عليهم، لأنهم (إذا لم يؤمنوا وجب إهلاكهم بعذاب الاستئصال، فإن سنة الله جارية عند ظهور الآية الباهرة، إن لم يؤمنوا جاءهم عذاب الاستئصال، فهاهنا ما أنزل الله تعالى الملك إليهم لئلا يستحقوا هذا العذاب)[2].

فمن رحمة الله بهذه الأمة أنهم لم ينزل الملائكة كما اقترح الكفار؛ قال صاحب المنار: (فلو نزلت الملائكة عليهم ما كانوا إذ تنزل إلا هالكين لا ينظرون، أي لا يمهلون لأجل أن يؤمنوا. وما كان الله ليهلك هذه الأمة، ولا من أعدهم للهداية من قوم نبي الرحمة، بإجابة اقتراحات أولئك المستكبرين المعاندين منهم)[3].

ويذكر ابن الجوزي أن الرسل لو كانوا من الملائكة فلا يمكن إظهار معجزة، لأن الملائكة تقوى على قلب الجبال والصخور، لأن المعجزة ما خرقت العادة، وهذه عادة الملائكة، وإنما المعجزات الظاهرة ما ظهرت على يد بشر ضعيف. كذلك الملائكة معصومون، ولهم قوة على العبادة، فلو فرض الله التكاليف على يد الملك الرسول، لقال الناس: الملائكة خلقوا للعبادة، ونحن لا نستطيع ذلك، كذلك لخفي كثير من أحكام الأكل والزواج والمعاملات، لان الملائكة لا تتزاوج ولا تأكل[4].

فإرسال الرسل من البشر أتم في الحكمة والرحمة، ذلك أن الجنس يسهل عليه الأخذ من جنسه، إضافة إلى تحقق القدوة في صورتها المثلى

(١) التفسير القيم: تفسير القرآن الكريم لابن القيم (ص: ٢٣٩).
(٢) تفسير الرازي: مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (١٢/ ٤٨٧).
(٣) تفسير المنار (٧/ ٢٦٤،٢٦٣).
(٤) تلبيس إبليس/٨٤/ المكتبة التوفيقية.





حين يكون النبي من نفس جنس البشر لا من الملائكة؛ فربما يدعي المرسل لهم أنهم لا يستطيعون أن يأتمروا بأوامره إذ إنه لا يشعر بما يشعرون به(١).

وإذا تبين هذا وأن البشر لا يقوون على رؤية الملائكة، فإن بعث الرسل من البشر من أعظم المنن، وبهذا وصف الله إرساله الرسل من جنس البشر، فمن رحمة الله تعالى بخلقه أنه يرسل إلى كل صنف من الخلائق رسلًا منهم، ليدعو بعضهم بعضًا، وليمكن بعضهم أن ينتفع ببعض في المخاطبة والسؤال، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران:١٦٤] ومن رحمته ومنته على عباده أن كان الرسول من جنسهم فكونه من الجنس يوجب الأنس به، وقلة الاستيحاش منه، فيأنسون به بجامع البشرية، ولو كان ملكًا لم يحصل كمال الأنس به لاختلاف الجنس، لسانه ولسانهم واحد، وهذا يوجب حسن التفهيم وقرب الفهم، فيسهل أخذ ما يجب عليهم أخذه عنه، ويسهل عليهم التعلم منه، ويفقهون عنه، ويفهمون كلامه، ولا يحتاجون إلى ترجمان لموافقة لسانه للسانهم، وكونه منهم يعرفونه لا من غيرهم، لئلا يتهموه في النصيحة لهم، إذ قد خبروه وعرفوا صدقه وأمانته، وكذلك الرسل وكانوا واقفين على أحواله في الصدق والأمانة قد خبروا أمره، وعلموا صدقه، فكان ذلك أقرب لهم إلى تصديقه والوثوق به(٢).

ومن تمام نعمته ومنته ورحمته بالأقوام المرسل إليهم أن جعل لغة الرسل هي لغتهم، كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [إبراهيم:٤] وهذا من لطفه تعالى بخلقه: أنه يرسل إليهم رسلا منهم بلغاتهم، ليفهموا



(١) النبوات، لابن تيمية (٢/ ٦٨٠/ ٦٨١).
(٢) انظر: تفسير الزمخشري: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (١/ ٤٣٥) تفسير ابن عطية: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (١/ ٥٣٧)، تفسير الرازي: مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٩/ ٤١٨) (٩/ ٤١٩).



عنهم ما يريدون، وما أرسلوا به إليهم، كما أخرج الإمام أحمد عن أبي ذر، قال: قال رسول الله ﷺ: "لم يبعث الله، عز وجل، نبيًّا إلا بلغة قومه"[(١)].

وذلك ليتمكنوا (من تعلم ما أتى به، بخلاف ما لو كانوا على غير لسانهم، فإنهم يحتاجون إلى أن يتعلموا تلك اللغة التي يتكلم بها، ثم يفهمون عنه، فإذا بين لهم الرسول ما أمروا به، ونهوا عنه وقامت عليهم حجة الله)[(٢)].

المسألة الثانية
رحمة الله بالبشر
بجعل الرسل متصفين بالكمال البشري

ومن رحمة الله بخلقه بعثه للرسل، وهم في ذروة نسب أقوامهم، ليسهل الانقياد لهم، ومنهم محمد ﷺ ذلك (أنه لما كان من أشرفهم كانوا أطوع له، وأقرب إلى تصديقه)[(٣)].

كذلك كان من رحمة الله بالخلق أن رزق الرسل أحسن الأخلاق وأكرمها، ليصبروا على أذى الناس لهم؛ قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة:١٢٨] فهو عليه السلام رفيق، رحيم يعز عليه دخول المشقة والمكروه والأذى على أمته، حريص على هداهم وتوبتهم ورجوعهم إلى الحق[(٤)].

(١) أخرجه أحمد في مسنده٣٥/٣٢٣ رقم الحديث :٢١٤١٠، وقال شعيب الأرناؤوط: متنه صحيح، فقد نص القرآن على ذلك في غير آية منها ما في سورة إبراهيم (وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم) وأما إسناد هذا الحديث فرجاله ثقات رجال الصحيح لكن مجاهدا. وهو ابن جبر لم يسمع من أبي ذر.
(٢) تفسير السعدي: تيسير الكريم الرحمن (ص: ٤٢١).
(٣) فتح القدير للشوكاني (١/ ٤٥٢).
(٤) تفسير الطبري: جامع البيان ت شاكر (١٤/ ٥٨٤).







وذكر الماوردي أن من شرط النبوة (أن يكون مؤهلًا لها لصدق لهجته وظهور فضله وكمال حاله، فإن اعتوره نقص أو ظهر منه كذب؛ لم يجز أن يؤهل للنبوة من عدم آلتها وفقد أمانتها)[١].

وظهر من أسئلة هرقل في الحديث المشهور بُعُد الأنبيَّاء عن الأخلاق الرذيلة، مثل الكذب والغدر، فقد قال: (وسألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال، فذكرت أن لا فقد أعرف أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله، وسألتك: هل يغدر؟ فذكرت أن لا، وكذلك الرسل لا تغدر)[٢].

وإذا تأملنا سيرة الرسول ﷺ وأخلاقه وأقواله وأفعاله، فإننا نجدها من آياته: (وذلك يظهر بتدبر سيرته من حين ولد وإلى أن بعث، ومن حيث بعث إلى أن مات، وتدبر نسبه وبلده وأصله وفصله، فإنه كان من أشرف أهل الأرض نسبًا، من صميم سلالة إبراهيم الذي جعل الله في ذريته النبوة والكتاب، فلم يأت نبي بعد إبراهيم إلا من ذريته، ونجعل له ابنين: إسماعيل، وإسحاق، وذكر في التوراة هذا وهذا، وبشر في التوراة بما يكون من ولد إسماعيل، ولم يكن في ولد إسماعيل من ظهر فيما بشرت به النبوات، غيره، ودعا إبراهيم لذرية إسماعيل بأن يبعث فيهم رسولًا منهم، ثم من قريش صفوة بني إبراهيم، ثم من بني هاشم صفوة قريش، ومن مكة أم القرى وبلد البيت الذي بناه إبراهيم، ودعا الناس إلى حجه، ولم يزل محجوجًا من عهد إبراهيم، مذكورًا في كتب الأنبيَّاء بأحسن وصف)[٣].



(١) أعلام النبوة، الماوردي ص ٤٠.
(٢) صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، باب ٦، ح ٧، الفتح ١/ ٣٢.
(٣) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية (٥/ ٤٣٧).



المبحث الرابع
الرحمة في بعث الرسل
مؤيدين بالآيات والبراهين

وهذه كغيرها من النعم التي أنعم الله بها على بني آدم، فمن تمام رحمته وحكمته وكرمه أرسل رسله مؤيدين بالآيات والدلائل الدالة على صدق أقوالهم. فإنه تعالى أرسل الرسل حجة على الخلق وأمر باتباعهم وتصديقهم وأرسل معهم ما يعرف به الخلق صدق هؤلاء الرسل) فمن الممتنع أن يجعل مجرد الخبر المحتمل للصدق والكذب دليلًا له، وحجة على الناس).[1]، فإنه سبحانه وتعالى لم يبعث نبيًّا إلا بآية تبين صدقه، إذ تصديقه بما لا يدل على صدقه غير جائز، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ [الحديد:٢٥]. أي الآيات البينات)، وذلك أن الناس كلما قويت حاجتهم إلى الشيء يسر الله لهم أسبابه، فلما كانت حاجتهم إلى معرفة صدق الرسل عظيمة أقام الله سبحانه من دلائل صدقهم وشواهد نبوتهم ما يظهر لمن تدبر ذلك؛ ولهذا لا يكاد يوجد مسلم إلا قد عرف كثيرًا من آيات النبي ﷺ. وسمعها ونقلها إلى غيره،بخلاف كثير من الأحكام المتواترة المتفق على نقلها عند العلماء[2].



(١) النبوات، لابن تيمية (٢/ ٦٣٩).
(٢) انظر الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، لابن تيمية (٦/ ٣٢٧).

وتتنوع هذه الدلائل في الوضوح والخفاء، فمنها ما هو ظاهر بين لكل أحد ومنها ما يختص به من عرفه (وما اشتدت الحاجة إليه في الدين والدنيا، فإن الله يجود به على عباده جودًا عامًا ميسرًا)[١].

وتتجلى رحمة الله تعالى في اسم الله الأكرم فإنه أبلغ من الكريم، وهو المحسن غاية الإحسان. ومن إحسانه أنه علم بالقلم، والتعليم بالقلم يتناول علم العبارة والنطق، وعبارة المعاني والعلوم؛ فإذا كان قد علم الإنسان هذه العلوم، فكيف يمتنع عليه أن يعلمه ما يأمره به، وما يخبره به.

وإذا كان تعالى قادرًا على أن يهدي الإنسان الذي كان علقة، ومضغة إلى أنواع العلوم بأنواع من الطرق إنعامًا عليه، ورحمة به، فكيف لا يقدر أن يعرفه صدق من أرسله إليه. وهذا أعظم النعم عليه، والإحسان إليه.

ثم إن من هدى عباده إلى أن يرسلوا رسولا بعلامة، ويعلم المرسل إليهم أنها علامة تدل على صدقه قطعا، فكيف لا يقدر هو أن يرسل رسولا، ويجعل معه علامات يعرف بها عباده أنه قد أرسله. فمن هدى العباد إلى هذا، فهو أقدر على أن يعلمهم صدق رسوله بعلامات يعرفون بها صدقه، وإن لم يكن قبل ذلك قد تقدم بينهم وبينه اتفاق سابق؛ بل هذا من لوازم رحمته تعالى[٢].

ومن رحمة الله بالرسل وأقوامهم أن مهد للرسل نزول الوحي، وقدم بين يدي ذلك مقدمات وإرهاصات ذلك أن الوحي أمر عظيم، ومن ذلك أنه قدم بين يدي مبعثه عليه السلام ولادة يحيى عليه السلام، وبين يدي مولد محمد صلى الله عليه وسلم ما جرى لأصحاب الفيل، وقبيل بعثته كان يسمع صوت الأحجار والأشجار وهي تسلم عليه بالنبوة، والرؤيا التي يراها فتقع كفلق الصبح

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، لابن تيمية (٥/ ٤٣٥).
(٢) انظر: النبوات، لابن تيمية (٢/ ٦٧٢/ ٦٨٣).





وغير ذلك، وهذا من رحمة الرحيم، لئلا يفجؤه الوحي، وليثبته عند نزول الملك عليه.

المسألة الأولى: الرحمة في تنوع الآيات وعدم اقتصارها على ما سمي بالمعجزات ومناقشة ذلك:

يطلق بعض العلماء على الآيات الدالة على صدق نبوة الأنبيًّاء اسم: المعجزات والسبب: (لأن الخلق عجزوا عن الإتيان بمثلها)(١). والأولى تسميتها بالآيات والبراهين ودلائل النبوة وأعلام النبوة، لأنها أدل على المقصود من لفظ المعجزات، ولهذا لم يكن لفظ المعجزات موجودًا في الكتاب والسنة وإنما فيه لفظ الآية والبينة والبرهان، قال تعالى في قصة موسى عليه السلام ﴿فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِن رَّبِّكَ﴾ [القصص:٢٥] في العصا واليد، وقال تعالى في حق محمد ﷺ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا﴾ [النساء:١٧٤] وأما لفظ الآيات فكثير جدًا في القرآن الكريم، كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ﴾ [الأنعام:١٢٤] فالآية أو دليل النبوة ينحصر عند المتكلمين -المعتزلة والأشاعرة- في المعجزة. وهو في اللغة: اسم فاعل مأخوذ من العجز وهو ضد القدرة، ونقيض الحزم، وهو الضعف، والهاء فيها للمبالغة(٢).

وسميت بهذا الاسم لعجز من يقع عندهم ذلك عن معارضتها، قال القاضي عياض: اعلم أن معنى تسميتنا به الأنبيًّاء معجزة هو أن الخلق عجزوا عن الإتيان بمثلها(٣).

وأما حدها في الاصطلاح، فقد اختلف فيه، فيرى المعتزلة أنها:

(١) الشفاء، القاضي عياض ٤٩١/١ وينظر: أعلام النبوة، الماوردي ص٤٢، أصول الدين، البغدادي، ص١٧٠، شرح الأصول الخمسة، القاضي عبدالجبار ص٥٦٨.
(٢) انظر: لسان العرب، ابن منظور، مادة عجز ٣٦٩/٥، تاج العروس، الزبيدي، مادة عجز ٤٩/٤، فتح الباري، ابن حجر ٥٨١/٦.
(٣) الشفا، القاضي عياض ٤٩١/١ .







الفعل الخارق للعادة فقط، ثم يلتزمون إنكار الكرامات والسحر فيقولون: السحر كله من باب الشعوذة[1].

وأما الأشاعرة فيضيفون إلى تعريف المعتزلة قيودًا أخرى، فيقولون: هي الفعل الخارق للعادة، المقترن بدعوى النبوة، السالم عن المعارضة، المقرون بالتحدي[2].

ونوقش هؤلاء من عدة أوجه، أهمها: أن الاستدلال بالمعجزات على صدق الرسل صحيح، ولكن الدليل غير محصور بها فكان خطؤهم هو قصرهم الدليل على المعجزة، وأما تعريفهم لها بأنها الخارق للعادة، فقد ذكر ابن تيمية أن هذا ليس بأمر منضبط، لأن كون الشيء معتادًا مأخوذ من العود، وهذا يختلف باختلاف الأمور، ثم إنه قد يعنى به أنه لم يوجد له نظير في العالم قط، وهذا غير صحيح ذلك أن آيات الأنبيَّاء بعضها نظير بعض.

وقد يُعنى به ما خرق عادة أولئك المخاطبين بالنبوة، بحيث لا يوجد فيهم من يقدر على ذلك وهذا -بمجرده- ليس بحجة، فإن أكثر الناس لا يقدرون على الكهانة والسحر، ووجد من ادعى النبوة كاذبًا وكان كاهنًا ساحرًا تساعده الشياطين مثل الأسود العنسي، ولم يكن في المخاطبين بالنبوة من يقدر على ما يقدر عليه، ومع هذا فقد عُرف كذبه من وجوه أخرى[3].

وأما إنكار المعتزلة للكرامات، وجعلهم السحر كله من باب الشعوذة، فهذا مكابرة للواقع، وإنكار لما علم بالتواتر.

ثم إنه لا يلزم أن يكون دليل النبوة مقترنًا بدعوى النبوة، فهناك أدلة



(١) انظر: المغني، القاضي عبدالجبار ١٥/٢٢٥،١٤٨، ٢٣٣، ٢٥٩، شرح الأصول الخمسة، القاضي عبدالجبار ٥٦٨.

(٢) أصول الدين، البغدادي ص١٧.

(٣) ينظر: النبوات، لابن تيمية (١/ ١٧٣).



وعلامات للنبوة سابقة عليها ولاحقة ومنها البشارات، وما يحدث قبل نبوة الأنبيَّاء بل وقبل وجودهم مثل قصة الفيل، وما يحدث بعد وفاة الأنبيَّاء من نصر الله للدين، واستمراره، هذا كله من دلائل النبوة، وهو غير مقترن بدعوى النبوة[١]. وهذا كله من عموم رحمة الله بالخلق.

أخيرا لا يلزم أن يتحدى النبي ﷺ بكل آية؛ ذلك أن آيات الأنبيَّاء آيات، وإن لم ينطقوا بالتحدي.

ومن رحمته تعالى بخلقه وعلمه بحاجة الخلق إلى الآيات الدالة على صدق الأنبيَّاء أنه أيدهم بها: (وكلما كان الناس إلى الشيء أحوج، كان الرب به أجود)[٢].

ومنعت رحمته تعالى وحكمته أن يسوي بين الصادق والكاذب في دعوى النبوة؛ فيؤيد الكاذب من آيات الصدق، بمثل ما يؤيد به الصادق؛ أو أن يرسل رسولًا يأمر الخلق بالإيمان به وطاعته، ولا يجعل لهم طريقًا إلى معرفة صدقه؛ بل هذا كتكليفهم بما لا يقدرون على أن يعلموه. وهذا ممتنع في صفة الرب، وهو منزه عنه سبحانه؛ فإنه الرب الرحيم الذي لا يكلف نفسا إلا وسعها.[٣]

المسألة الثانية: تيسير الاطلاع على آثار الأنبيَّاء الدالة على صدقهم:

ومن رحمة الله بالبشر أن جعل الاطلاع على آثار الأنبيَّاء ميسورا فهي (تارة تعلم بمجرد الأخبار المتواترة، وإن لم نشاهد شيئًا من آثارها، وتارة نشاهد بالعيان آثارها الدالة على ما حدث؛ كما قال تعالى: ﴿وَعَادًا وَثَمُودَاْ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُواْ مُسْتَبْصِرِينَ﴾، وقال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ٧٥ وَإِنَّهَا



(١) ينظر: الجواب الصحيح، ابن تيمية ٤(/١٢٢).
(٢) النبوات، لابن تيمية (٢/ ٦٨٧).
(٣) انظر: النبوات، لابن تيمية (٢/ ٦٨٧).



﴿لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ٧٦ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ٧٧ وَإِن كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ ٧٨ فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [الحجر:٧٥-٧٨]؛ أي لبطريق موضح، متبين لمن مر به آثارهم. وهذه الأخبار كانت منتشرة متواترة في العالم، وقد علم الناس أنها آيات للأنبيَّاء، وعقوبة لمكذبيهم).[1]

من رحمة الله أنه يسر للبشرية نقل أخبار الأنبيَّاء مع أقوامهم بالتواتر، وهذا العلم (من أظهر العلوم المتواترة وأجلاها، ونقل هذه الأمور أظهر وأوضح من نقل أخبار ملوك الفرس والعرب في جاهليتها. فكل عاقل يعلم أن نقل أخبار الأنبيَّاء وأتباعهم ينقلها من أهل الملل من لا يحصى عدده إلا الله ويدونونها في الكتب)[2].



كذلك من رحمة الله أنه (أبقى في العالم الآثار الدالة على ما فعله بأنبيَّائه والمؤمنين من الكرامة، وما فعله بمكذبيهم من العقوبة، وذلك أيضًا معلوم بالتواتر كتواتر الطوفان وإغراق فرعون وجنوده. والله تعالى كثيرا ما يذكر ذلك في القرآن كقوله: ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ٤٢ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ٤٣ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ ۖ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ٤٤ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ٤٥ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ٤٦﴾ [الحج:٤٢-٤٦]

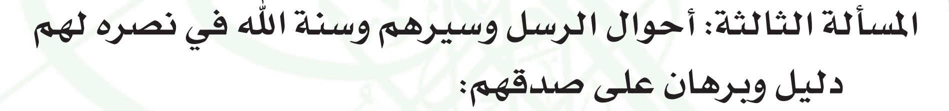
وقال تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ ٣٦ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ٣٧﴾ [ق:٣٧-٣٦].

(١) النبوات، لابن تيمية (١/ ٥١٤/ ٥١٥(من ويكيبيديا: ورغم اختلاف القصة في مختلف الديانات والمعتقدات إلا أن جميعها تتفق على حصول طوفان عظيم عم الأرض كلها وأن هناك سفينة أبحرت فوقه ونجاة الناجين الذين كانوا على متنها.

(٢) شرح العقيدة الأصفهانية (ص: ١٥٤).



أخيرا ومما هو من آثار الأنبيّاء، ومن رحمته تعالى أنه أبقى في الأرض ما يعلم أنه حفظ بأمر الله وهي: (الكعبة فإنها بيت من حجارة بواد غير ذي زرع، ليس عندها أحد يحفظها من عدو، ولا عندها بساتين وأمور يرغب الناس فيها؛ فليس عندها رغبة ولا رهبة. ومع هذا فقد حفظها بالهيبة والعظمة. وجعل فيها من الرغبة يأتيها الناس من أقطار الأرض محبة، وشوقا، من غير باعث دنيوي. وهي على هذه الحال من ألوف من السنين؛ وهذا مما لا يعرف في العالم لبنية غيرها .وهذا مما حير الفلاسفة ونحوهم؛ فإنهم يظنون أن المؤثر في هذا العالم هو حركات الفلك، وأن ما بني وبقي فقد بني بطالع سعيد؛ فحاروا في طالع الكعبة، إذ لم يجدوا في الأشكال الفلكية ما يوجب مثل هذه السعادة، والعزة، والعظمة، والدوام، والقهر، والغلبة)[1].



المسألة الثالثة: أحوال الرسل وسيرهم وسنة الله في نصره لهم دليل وبرهان على صدقهم:

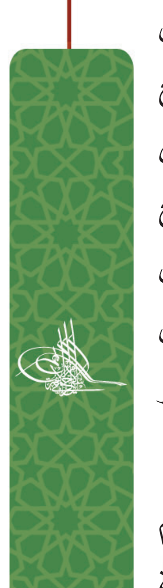
كان من رحمة الله بالبشرية وسنته في الأنبيّاء وأتباعهم والكفار بهم أن الأولين (ينصرهم ويعزهم، ويجعل لهم العاقبة المحمودة، والآخرين يهلكهم ويذلهم، ويجعل لهم العاقبة المذمومة؛ كما فعل بقوم نوح، وعاد، وثمود، وقوم لوط، وأصحاب مدين، وفرعون وقومه؛ وكما فعل بمن كذب محمدًا ﷺ؛ من قومه قريش، ومن سائر العرب، وسائر الأمم غير العرب؛ وكما فعل بمن نصر أنبيّاءه وأتباعهم.)[2]

ونصر الله للأنبيّاء وحسن عاقبتهم وأتباعهم وسوء عاقبة مكذبيهم (من أعظم الأدلة والبراهين على صدق الرسل وبرهم، وكذب من خالفهم وفجوره، ثم إنه سبحانه بين أن ذلك يعلم بالبصر أو السمع أو بهما.



(١) النبوات، لابن تيمية (١/ ٥١٠- ٥١٢).
(٢) النبوات، لابن تيمية (٢/ ٩٥٩، ٩٦٠).





فالبصر والمشاهدة لمن رآهم أو رأى آثارهم الدالة عليهم كمن شاهد أصحاب الفيل وما أحاط بهم، ومن شاهد آثارهم بأرض الشام واليمن والحجاز وغير ذلك: كآثار أصحاب الحجر وقوم لوط ونحو ذلك. والسمع فبالأخبار التي تفيد العلم: كتواتر الأخبار بما جرى في قصة موسى وفرعون وغرق فرعون في القلزم، وكذلك تواتر الأخبار بقصة الخليل مع النمرود، وتواتر الأخبار بقصة نوح وإغراق أهل الأرض، وأمثال ذلك من الأخبار المتواترة عند أهل الملل وغير أهل الملل مع أن في بعض قصص من تواترت به هذه الأخبار ما يحصل العلم بخبرهم، واشتراك البصر والسمع كما يشاهد بعض الآثار من تواتر الأخبار)[1].

ومن رحمة الله أن جعل الأدلة على صدق الرسل كثيرة، ومنها: العلم بحال الأنبيَّاء الذي يوجب العلم اليقيني بصدقهم، وذلك من وجوه متعددة (منها: أنهم أخبروا الأمم بما سيكون من انتصارهم وخذلان أولئك وبقاء العاقبة لهم أخبارًا كثيرة في أمور كثيرة، هي كلها صادقة لم يقع في شيء منها تخلف ولا غلط بخلاف من يخبر به من ليس متبعًا لهم ممن تنزل عليه الشياطين، أو يستدل على ذلك بالأحوال الفلكية وغيره. وهؤلاء لا بد أن يكونوا كثيرًا، بل الغالب من أخبارهم الكذب، وإن صدقوا أحيانًا. ومن ذلك: أن ما أحدثه الله تعالى من نصرهم وإهلاك عدوهم إذا عرف الوجه الذي حصل عليه كحصول الغرق لفرعون وقومه بعد أن دخل البحر خلف موسى عليه السلام وقومه كان هذا مما يورث علما ضروريًا أن الله تعالى أحدث هذا نصرًا لموسى وقومه ونجاة لهم، وعقوبة لفرعون وقومه ونكالاً لهم، وكذلك أمر نوح والخليل عليهما السلام، وكذلك قصة الفيل وغير ذلك)[2].

(١) شرح العقيدة الأصفهانية (ص: ١٥٣).
(٢) شرح العقيدة الأصفهانية (ص: ١٥٥- ١٥٦).





وكانت قريش تعرف محمدًا، وكانوا واقفين على أحواله في الصدق والأمانة، قد خبروا أمره، وعلموا صدقه، فكان ذلك أقرب لهم إلى تصديقه والوثوق به، ثم أنهم كانوا عالمين بأنه لم يتلمذ لأحد، ولم يقرأ كتابًا ولم يمارس درسا ولا تكرارا، وأنه إلى تمام الأربعين لم ينطق البتة بحديث النبوة والرسالة، ثم إنه بعد الأربعين ادعى الرسالة وظهر على لسانه من العلوم ما لم يظهر على أحد من العالمين، ثم إنه يذكر قصص المتقدمين وأحوال الأنبيّاء الماضين على الوجه الذي كان موجودًا في كتبهم، فكل من له عقل سليم علم أن هذا لا يتأتى إلا بالوحي السماوي والإلهام الإلهي. وهم بعد ادعاء النبوة عرضوا عليه الأموال الكثيرة والأزواج، ليترك هذه الدعوى فلم يلتفت إلى شيء من ذلك، بل قنع بالفقر وصبر على المشقة، ولما علا أمره وعظم شأنه وأخذ البلاد وعظمت الغنائم لم يغير طريقه في البعد عن الدنيا والدعوة إلى الله، والكاذب إنما يقدم على الكذب ليجد الدنيا، فإذا وجدها تمتع بها وتوسع فيها، فلما لم يفعل شيئًا من ذلك علم أنه كان صادقًا[1].

المسألة الرابعة: رحمة الله بالبشر بحفظ القرآن وكونه آية:

وهو من أعظم الآيات التي أوتيها وأعطيها الأنبيّاء؛ في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: (ما من الأنبيّاء نبي إلا أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر وإنما كان الذي أوتيته وحيًا أوحاه الله إلَّي فأرجو أن أكون أكثرهم تابعًا يوم القيامة)[2].

ومن رحمة الله بالبشرية أن بعث محمدًا رسولًا إلى جميع الثقلين، وجعل آيات نبوته ظاهرة معلومة (لكل الخلق الذين بعث إليهم، وقد يكون

(١) انظر: تفسير الزمخشري: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (١/ ٤٣٥)، تفسير ابن عطية: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (١/ ٥٣٧)، تفسير الرازي: مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٩/ ٤١٨) (٩/ ٤١٩).

(٢) رواه البخاري في صحيحه ٤١٩٠٥، كتاب فضائل القرآن، باب كيف نزل الوحي، وأول ما أنزل. و٦٢٦٥٤، كتاب الاعتصام، باب قول النبي: ﷺ "بعثت بجوامع الكلم". ورواه مسلم في صحيحه ١١٣٤، كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد إلى جميع الناس، ونسخ الملل بملته.





عند هؤلاء من الآيات والبراهين على نبوته، ما ليس عند هؤلاء. وكان يظهر لكل قوم من الآيات النفسية والأفقية ما يبين به أن القرآن حق، كما قال تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ ۗ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ ﴿٥٤﴾﴾ [فصلت:٥٢-٥٤]

أخبر سبحانه أنه سيري عباده الآيات في أنفسهم، وفي الآفاق حتى يتبين لهم أن القرآن حق، ثم قال : ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾، فإن شهادته وحده كافية دون ما ينتظر من الآيات، وشهادته للقرآن ولمحمد، تكون بأقواله التي أنزلها قبل ذلك على أنبيّائه عن أهل الكتاب. وتكون بأفعاله وهو ما يحدثه من الآيات والبراهين، الدالة على صدق رسله، فإنه صدقهم بها فيما أخبروا به عنه، وشهد لهم بأنهم صادقون.

والقرآن هو قول الله، وفيه شهادة الله بما أخبر به الرسول، وإنزاله على محمد وإتيان محمد به هو آية وبرهان، وذلك من فعل الله؛ إذ كان البشر لا يقدرون على مثله لا يقدر عليه أحد من الأنبيّاء، ولا الأولياء، ولا السحرة، ولا غيرهم. وقد أخبر خبرًا وأكده بالقسم عن جميع الثقلين أنهم إذا اجتمعوا على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله، بل يعجزون عن ذلك، وهذا فيه آيات لنبوته.

منها إقدامه على هذا الخبر العظيم عن جميع الإنس والجن إلى يوم القيامة بأنهم لا يفعلون هذا، بل يعجزون عنه. ولا يتصور أن بشرًا يجزم بهذا الخبر، إلا أن يعلم أن هذا مما يعجز عنه الخلق، إذ علم العالم بعجز جميع الإنس والجن إلى يوم القيامة، هو من أعظم دلائل كونه معجزا،



وكونه آية على نبوته، فهذا من دلائل نبوته في أول الأمر عند من سمع هذا الكلام، وعلم أنه من القرآن الذي أمر ببلاغه إلى جميع الخلق، وهو وحده كاف في العلم بأن القرآن معجز.

وغير ذلك من الدلائل الكثيرة على أنه معجز، مثل عجز جميع الأمم عن معارضته مع كمال الرغبة والحرص على معارضته، وعدم الفعل مع كمال الداعي يستلزم عدم القدرة، فلما كان دواعي العرب وغيرهم على المعارضة تامة، علم عجز جميع الأمم عند معارضته، وهذا برهان ثان يعلم به صدق هذا الخبر، وصدق هذا الخبر آية لنبوته غير العلم بأن القرآن معجز، فإن ذلك آية مستقلة لنبوته، وهي آية ظاهرة باقية إلى آخر الدهر، معلومة لكل أحد، وهي من أعظم الآيات)[1].



(١) انظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية (٥/ ٤٠٥ ــ ٤١٠).



المبحث الخامس

الرحمة في إقامة الحجة بالرسل وعدم التعذيب قبل إرسال الرسل وإنزال الكتب.

فطر اللّه تعالى القلوب على توحيده، ونصب في الكون شواهد على ذلك، وأودع في الإنسان عقلا يميز به بين الأمور، فيعرف حسنها من قبحها، إلا أنه لتمام عدله ورحمته وحكمته لم يجعل الحجة إلا بالرسالة التي منَّ اللّه تعالى بها على خلقه. وهذا الأصل دلت عليه النصوص، فإن اللّه لا يعذب إلا من أرسل إليه رسولا تقوم به الحجة عليه.(١)

وأكد اللّه تعالى هذا المعنى في آيات كثيرة، منها قولة تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء:١٥] فأثبت الحجة بالرسل خاصة ونفى العقاب قبل البعثة.

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُواْ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ﴾ [طه:١٣٤].

فدل ذلك على أن المقتضي لعذابهم قائم، ولكن شرط العذاب هو بلوغ الرسالة، ولهذا قال: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النساء:١٦٥] وفي الصحيحين عن النبيﷺ أنه قال: «ما أحد أحب إليه العذر من اللّه؛ من أجل ذلك أرسل الرسل وأنزل الكتب.(٢)

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، لابن تيمية (٢/ ٢٩١).
(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، لابن تيمية (٢/ ٣٠٦).



وقال تعالى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾.

قال ابن القيم: فهذا صريح بأن الحجة إنما قامت بالرسل، وأنه بعد مجيئهم لا يكون للناس على الله حجة، وهذا يدل على أنه لا يعذبهم قبل مجيء الرسل إليهم، لأن الحجة حينئذ لم تقم عليهم(١).

وقال تعالى ﴿وَنَادَوْاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ﴾ [الزخرف:٧٧-٧٨].

والحق هاهنا هو ما بعث به المرسلون باتفاق المفسرين(٢).

فلا يهلك الله قومًا إلا بعد الإعذار إليهم بالرسل، وإقامة الحجة عليهم بالآيات التي تقطع عذرهم؛ قال قتادة: إن الله تبارك وتعالى ليس يعذب أحدًا حتى يسبق إليه من الله خبرًا، أو يأتيه من الله بينة، وليس معذبا أحدًا إلا بذنبه(٣).

فقطع حجة كل مبطل ألحد في توحيده وخالف أمره، بجميع معاني الحجج القاطعة عذره، إعذارًا منه بذلك إليهم، لتكون لله الحجة البالغة عليهم وعلى جميع خلقه.(٤)

وهذا من عدله تعالى، وأنه لا يعذب أحدا إلا بعد قيام الحجة عليه بإرسال الرسول إليه(٥).

فإرسال الرسل كان إقامة للحجة وقطعا للعذر، وفيه دليل على أن ما

(١) مفتاح دار السعادة، ابن القيم ٢/٣٩.
(٢) مفتاح دار السعادة ابن القيم ٢ /٥١.
(٣) تفسير الطبري: جامع البيان ت شاكر (١٧/ ٤٠٢).
(٤) تفسير الطبري: جامع البيان ت شاكر (٩/ ٤٠٨).
(٥) تفسير ابن كثير ت سلامة (٥/ ٥٢).







وجب إنما وجب بالسمع لا بالعقل[1].

المسألة الأولى: حكم من لم تقم عليه الحجة:

ومن رحمة الله أن من لم تقم عليه الحجة في الدنيا بالرسالة كالأطفال والمجانين وأهل الفترات: أنهم يمتحنون يوم القيامة كما جاءت به الآثار، فيبعث الله إليهم من يأمرهم بطاعته، فإن أطاعوه استحقوا الثواب، وإن عصوه استحقوا العقاب[2].

روى الإمام أحمد بسنده (عن الأسود بن سريع، أن نبي الله ﷺ قال: أربعة يوم القيامة: رجل أصم لا يسمع شيئًا، ورجل أحمق، ورجل هرم، ورجل مات في فترة، فأما الأصم فيقول: رب، لقد جاء الإسلام وما أسمع شيئًا، وأما الأحمق فيقول: رب، لقد جاء الإسلام والصبيان يحذفوني بالبعر، وأما الهرم فيقول: رب، لقد جاء الإسلام وما أعقل شيئًا، وأما الذي مات في الفترة فيقول: رب، ما أتاني لك رسول، فيأخذ مواثيقهم ليطيعنه، فيرسل إليهم أن ادخلوا النار، قال: فوالذي نفس محمد بيده، لو دخلوها لكانت عليهم بردًا وسلامًا)[3].

المسألة الثانية: العذر بالجهل وضرورة بلوغ الحجة:

ومما ألحق بهذا: مسألة العذر بالجهل وبلوغ الحجة بعد بعثة الرسول محمد وهي مسألة شائكة بحسب تعبير الشيخ ابن عثيمين الذي يقول: (مسألة العذر بالجهل مسألة عظيمة شائكة، وهي من أعظم المسائل تحقيقًا وتصويرًا. فمن الناس من أطلق وقال: لا يعذر بالجهل في أصول الدين كالتوحيد، فلو وجدنا مسلمًا في بعض القرى أو البوادي النائية

(١) تفسير البغوي، إحياء التراث (٣/ ١٢٤).
(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، لابن تيمية (٢/ ٢٩٨).
(٣) مسند أحمد ط الرسالة (٢٦/ ٢٢٨) رقم الحديث :١٦٣٠١، قال عنه الألباني: صحيح -"الصحيحة" (١٤٣٤).



يعبد قبرًا أو وليًا، ويقول: إنه مسلم، وإنه وجد آباءه على هذا ولم يعلم بأنه شرك فلا يعذر. والصحيح أنه لا يكفر؛ لأن أول شيء جاءت به الرسل هو التوحيد، ومع ذلك قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الأسراء:١٥] فلا بد أن يكون الإنسان ظالما، وإلا فلا يستحق العذاب)[١].

ويذكر أن مرتكب أحد نواقض الإسلام أو تارك أحد أركانه يكفر بشرط أن يبلغه (الحكم على وجه واضح بين، فقد قامت عليه الحجة. فالشرط هو بلوغ الحجة على وجه يتبين به الأمر، فإذا بلغ الإنسان ذلك، فإن إقراره بها ليس بشرط، فيحكم بكفره ولو لم يقر بها)[٢].

ويؤكد ابن تيمية عذر تارك أركان الإسلام عدا الشهادتين في حال لم تبلغه الحجة أو لم تقم عليه الحجة، فيقول: (وأما «الفرائض الأربع» فإذا جحد وجوب شيء منها بعد بلوغ الحجة فهو كافر، وكذلك من جحد تحريم شيء من المحرمات الظاهرة المتواتر تحريمها: كالفواحش والظلم والكذب والخمر، ونحو ذلك. وأما من لم تقم عليه الحجة مثل أن يكون حديث عهد بالإسلام، أو نشأ ببادية بعيدة لم تبلغه فيها شرائع الإسلام ونحو ذلك، أو غلط فظن أن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يستثنون من تحريم الخمر كما غلط في ذلك الذين استتابهم عمر. وأمثال ذلك، فإنهم يستتابون وتقام الحجة عليهم، فإن أصروا كفروا حينئذ، ولا يحكم بكفرهم قبل ذلك؛ كما لم يحكم الصحابة بكفر قدامة بن مظعون. وأصحابه لما غلطوا فيما غلطوا فيه من التأويل)[٣].

المسألة الثالثة: الفرق بين الحكم المطلق والحكم المقيد:

كذلك يشير ابن تيمية إلى أن الأقوال المطلقة في تكفير مرتكب فعل



(١) الشرح الممتع على زاد المستقنع (٦/ ١٩٣).
(٢) الشرح الممتع على زاد المستقنع (٦/ ١٩٥).
(٣) مجموع الفتاوى (٧/ ٦٠٩/ ٦١٠).



معين تترك على إطلاقها، ولا بد فيها من شروط ليحكم بكفر قائلها أو فاعلها؛ فيقول: (فإذا رأيت إمامًا قد غلظ على قائل مقالته أو كفره فيها، فلا يعتبر هذا حكمًا عامًا في كل من قالها، إلا إذا حصل فيه الشرط الذي يستحق به التغليظ عليه والتكفير له؛ فإن من جحد شيئًا من الشرائع الظاهرة وكان حديث العهد بالإسلام، أو ناشئًا ببلد جهل لا يكفر حتى تبلغه الحجة النبوية.)[1] وهذه تعرف بضوابط تكفير المعين.

بل إن الحجة من الممكن ألا تبلغ العلماء فضلًا عن غيرهم، فمن الجائز أن يخطئ إمام ويعذر في خطئه، ويخطئ غيره فلا يعذر (لعدم بلوغ الحجة له؛ فلا يغتفر لمن بلغته الحجة ما اغتفر للأول فلهذا يبدع من بلغته أحاديث عذاب القبر ونحوها إذا أنكر ذلك، ولا تبدع عائشة ونحوها ممن لم يعرف بأن الموتى يسمعون في قبورهم) [2].

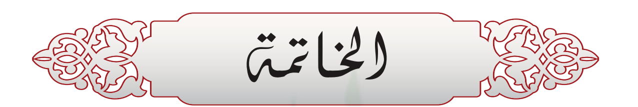
وهـذا يدل على مراعاة أحوال الناس وما بلغهم من العلم. وهذه المسائل المذكورة كلها تؤكد على عموم رحمة الله بالخلق، وأنه لا يكلفهم ما لا يطيقون، وأنه يراعي أحوالهم، فسبحانه من خالق بر رحيم، وسعت رحمته كل شيء.



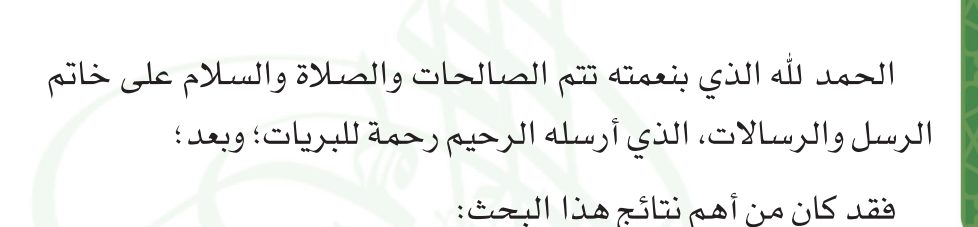


(١) مجموع الفتاوى ٦ / ٦١.
(٢) مجموع الفتاوى (٦ / ٦١).





الخاتمة



الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات والصلاة والسلام على خاتم الرسل والرسالات، الذي أرسله الرحيم رحمة للبريات؛ وبعد؛

فقد كان من أهم نتائج هذا البحث:

١. يراد بالغيب: كل ما غاب عن العيون ولم يتمكن من الوصول إليه عن طريق الحس، وفي الشرع: كل ما أمر الخلق بالإيمان به وغاب عن العيون، وجميع ما أخبرت به الرسل من الأمور الغيبية الماضية أو المستقبلية، وجميع أركان الإيمان من الإيمان بالغيب، والإيمان بالله هو أصل كل غيب.

٢. أمر الله الإنسان بالإيمان بالغيب، ووهبه نعمة العقل، التي دلته على صدق ما أخبرت به الرسل من أمور غيبية، ووضع له منهجا يتوافق مع عقله، يسلم فيه العقل للنص، وحرم الخوض في الأمور الغيبية بلا علم، وأوجب التسليم بكل ما صح وثبت عن الرسل، وهذا هو الغاية في احترام العقل، إذ إنه هو الذي دل على صدق الرسل؛ فإشفاقًا عليه من الخوض فيما لا يمكن الوصول إليه حرم عليه الخوض في ذلك، لأن أمور الغيب لا تجري عليها



أحكام الحس، ولله تعالى حكم عظيمة في إخفاء الغيب أهمها: تمييز المؤمن من الكافر.

٣. فطر الله الخلق محتاجين لعبادته، ولا طريق لمعرفة ذلك كيفية عبادته إلا عن طريق الرسل؛ لذا حاجتهم للرسل حاجة ضرورية، فلذلك كانت بعثة الرسل أعظم منة امتن الله بها على خلقه، وأما محمد ﷺ فقد كانت بعثته رحمة للعالمين جميعهم: مؤمنهم وكافرهم، فالمؤمنون نالوا بالإيمان به الثواب، والكفار أمنوا به في الدنيا من المسخ والاستئصال.

٤. كان من رحمة الله بخلقه أن بعث الرسل من جنس البشر، وهذا تكريم للبشرية جمعاء، ومع ذلك اعترض الكفار، واقترحوا أن تكون الرسل من الملائكة، وطلبوا إنزالها، ولكن الله لعموم رحمته لم يجبهم إلى طلبهم هذا لرحمته بالبشر، ذلك أنهم لا يستطيعون الأخذ من الملائكة، لأنهم لا يقدرون على رؤيتهم في صورتهم التي خلقهم الله عليها فلو أنزلت عليهم لماتوا من هول رؤيتهم، وكون الرسل من جنسهم يجعلهم يفقهون عنهم، ويفهمون منهم، ويأنسون بهم وتتحقق القدوة بشكل أمثل، أخيرا لو أنزل الله الملائكة ثم لم يؤمنوا لجاءهم العذاب، ولم يمهلوا جريًا على سنة الله تعالى في الآيات المقترحة.

٥. ومن تمام نعمة الله وكمال رحمته بخلقه جعل الرسل يتكلمون بنفس لغة الأقوام المرسل إليهم، ووهبهم أكمل الأخلاق وأحسنها، وبعثهم في ذروة أنساب أقوامهم، ليكون أدعى لقبول الرسالة منهم وتصديقهم.

٦. كان من تمام رحمة الله بخلقه أن بعث الرسل مؤيدين بالآيات





والبراهين، ذلك أن المقام مقام ادعاء دعوى الرسالة والنبوة وهي أعظم دعوى لا يدعيها إلا أصدق الصادقين أو أكذب الكاذبين، ويمتنع في رحمة الله أن يساوي بينهما فلا بد من وجود ما يتبين به صدق الصادق وكذب الكاذب، وهذه الآيات والدلائل ليست على درجة واحدة في الوضوح، بل ربما يتبين لجماعة ما لم يتبين لغيرهم، إلا أنه لا بد للجميع أن يتبين لهم صدق الرسل.

٧. كان من رحمة الله تعدد وتنوع أدلة النبوة، خلافًا لما ذهب إليه المعتزلة والأشاعرة من قصره دليل النبوة على ما أطلق عليه اسم المعجزات، وعرفوها بأنها الأمور الخارقة للعادة، وأضافت الأشاعرة قيودًا أخرى للتعريف، إلا أن اسم الآيات والدلائل والبراهين أدل على المقصود إضافة إلى ورودها في النصوص الشرعية، ولأن من دلائل النبوة ما لا ينطبق عليه التعريف، مثل: تيسيره سبحانه الاطلاع على آثار الأنبيَّاء، ومثل البشارات وبقاء الدين ونصر الأنبيَّاء وغيرها.

٨. كان من رحمة الله أن بعث محمدًا مؤيدا بأعظم آية، وهي القرآن الكريم الذي تكفل الله بحفظه إلى قيام الساعة، وأكد أن جميع الثقلين لن يأتوا بمثل هذا القرآن، وأقدم على هذا الخبر العظيم، وهذا من أعظم دلائل نبوة محمد ﷺ.

٩. كان من رحمة الله بالخلق أنه لم يجعل الحجة إلا بالرسل، فلا يعذب من لم تبلغه دعوة الأنبيَّاء، فلا يهلك الله قومًا إلا بعد إرسال رسول لهم، فتقوم عليهم الحجة. ومن رحمته أن أهل الفترة ومن لم تبلغه دعوة نبي، فإن الله يختبره يوم القيامة ويمتحنه بما يتبين به إيمانه من كفره.





١٠. كان من رحمة الله تعالى أنه يراعي أحوال المكلفين فلا يعذبهم إلا بشرط قيام الحجة وبلوغها لهم، وتفرع عن ذلك مسألة: التفريق بين الحكم بالتكفير المطلق وبين الحكم بالتكفير المقيد، فلا تترك الأقوال التي ذكر فيها التكفير على إطلاقها، بل لا بد من شروط ليحكم بكفر قائليها.

هذه هي أهم نتائج البحث، أما أبرز التوصيات، فهي: ضرورة متابعة البحث في دلائل نبوة محمد ﷺ، وما ظهر من تصديق للأمور الغيبية التي أخبر بها النبي ﷺ في هذا العصر، وتشجيع الدراسات الدالة على سعة رحمة الله تعالى وعمومها. وأسجل شكري هنا لجامعة الملك سعود ممثلة بقسم الدراسات الإسلامية بكلية التربية على تبنيها هذا المؤتمر.

فسبحان من وسعت رحمته كل شيء، وصلى الله وسلم على المبعوث رحمة للعالمين بالدين الحق المبين.





فهرس المصادر والمراجع

١. أصول الدين: أبو منصور عبدالقاهر بن طاهر البغدادي - دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠١هـ -١٩٨١م.

٢. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن المؤلف: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبدالقادر الجكني الشنقيطي (المتوفى: ١٣٩٣هـ) الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر

٣. أعلام النبوة: أبو الحسن علي بن محمد الماوردي - قدم له وشرحه وعلق عليه محمد شريف سكر - دار إحياء العلوم - بيروت - الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

٤. تفسير الزمخشري: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: دار الكتاب العربي - بيروت الطبعة: الثالثة -١٤٠٧هـ

٥. تاج العروس: السيد محمد مرتضى الزبيدي، دار صادر، بيروت.

٦. تفسير البغوي: محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي، المحقق: عبدالرزاق المهدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي -بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ

٧. تفسير ابن أبي حاتم، لمحقق: أسعد محمد الطيب، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز -المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثالثة- ١٤١٩هـ

٨. تفسير ابن عطية: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز أبو محمد عبدالحق بن غالب بن عبدالرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ)، المحقق: عبدالسلام عبدالشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى -١٤٢٢هـ.



٩. تفسير ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ -١٩٩٩م.
١٠. تفسير الرازي: مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، التفسير الكبير- الفخر الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة.
١١. تفسير الزمخشري: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل - تأليف: أبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي ٠ شركة مكتبة ومطبعة مصطفى الحلبي وأولاده بمصر، طبعة ١٣٨٥-١٩٦٦م.
١٢. تفسير السعدي: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، المؤلف: عبدالرحمن بن ناصر بن عبدالله السعدي، تحقيق: عبدالرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠م.
١٣. تفسير الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن، المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠م.
١٤. تفسير القاسمي: محاسن التأويل، حمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي، المحقق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى -١٤١٨هـ.
١٥. التفسير القيم: تفسير القرآن الكريم، محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، المحقق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان، الناشر: دار ومكتبة الهلال - بيروت، الطبعة: الأولى -١٤١٠هـ.
١٦. تفسير المنار، تفسير القرآن الحكيم، المؤلف: محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا





علي خليفة القلموني الحسيني (المتوفى: ١٣٥٤هـ) الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة النشر: ١٩٩٠م.

١٧. تلبيس إبليس، المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد الجوزي، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة: الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.

١٨. توضيح الأحكام من بلوغ المرام، أبو عبدالرحمن عبدالله بن عبدالرحمن بن صالح بن حمد بن محمد بن حمد بن إبراهيم البسام التميمي، الناشر: مكتَبة الأسدي، مكّة المكرّمة، الطبعة: الخامِسَة، ١٤٢٣ هـ -٢٠٠٣م.

١٩. الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية، تحقيق: علي بن حسن -عبدالعزيز بن إبراهيم -حمدان بن محمد، الناشر: دار العاصمة، السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م.

٢٠. رسائل الشيخ محمد بن إبراهيم الحمد في العقيدة، (الكتاب مرقم آليًّا) من المكتبة الشاملة.

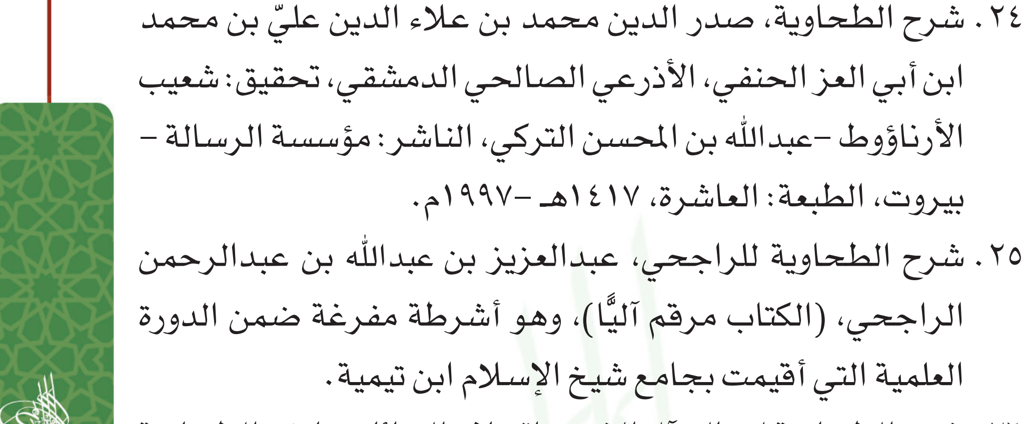
٢١. زاد المسير في علم التفسير - لأبي الفرج جمال الدين عبدالرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي - المكتب الإسلامي للطباعة والنشر - دمشق -بيروت الطبعة الأولي ١٣٨٥هـ-١٩٦٥.

٢٢. سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها المؤلف: أبو عبدالرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض الطبعة: الأولى، (لمكتبة المعارف)

٢٣. شرح الأصول الخمسة، القاضي عبدالجبار بن أحمد - تعليق أحمد ابن الحسين بن أبي هاشم، حققه وقدم له: عبدالكريم عثمان، نشر مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الأولى ذو الحجة سنة ١٣٨٤-١٩٦٥م.







٢٤. شرح الطحاوية، صدر الدين محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد ابن أبي العز الحنفي، الأذرعي الصالحي الدمشقي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط -عبدالله بن المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: العاشرة، ١٤١٧هـ -١٩٩٧م.

٢٥. شرح الطحاوية للراجحي، عبدالعزيز بن عبدالله بن عبدالرحمن الراجحي، (الكتاب مرقم آليًّا)، وهو أشرطة مفرغة ضمن الدورة العلمية التي أقيمت بجامع شيخ الإسلام ابن تيمية.

٢٦. شرح الطحاوية لصالح آل الشيخ: إتحاف السائل بما في الطحاوية من مسائل، المؤلف: صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ، (الكتاب مرقم آليًّا)، دروس مفرغة.

٢٧. شرح العقيدة الأصفهانية، أبو العباس أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن عبدالله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، المحقق: محمد بن رياض الأحمد، الناشر: المكتبة العصرية - بيروت، الطبعة: الأولى -١٤٢٥هـ.

٢٨. الشفا بتعريف حقوق المصطفى - القاضي عياض بن موسى اليحصبي قدم له: -عبدالوهاب دبس وزيت، عبدالكريم الرفاعي تحقيق محمد أمين قره علي وجماعة مكتبة الفارابي.

٢٩. صحيح مسلم:المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، المحقق: محمد فؤاد عبدالباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي -بيروت.

٣٠. العين: كتاب العين، مؤلف: أبو عبدالرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو ابن تميم الفراهيدي البصري، المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال.





٣١. صحيح البخاري: الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبدالباقي) الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

٣٢. فتح الباري شرح صحيح البخاري، المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، الناشر: دار المعرفة -بيروت، ١٣٧٩، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبدالباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبدالعزيز بن عبدالله بن باز.

٣٣. فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبدالله الشوكاني اليمني، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب -دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى -١٤١٤ هـ.

٣٤. لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي، الناشر: دار صادر - بيروت، الطبعة: الثالثة -١٤١٤ هـ.

٣٥. لقاء الباب المفتوح، المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين، لقاءات كان يعقدها الشيخ بمنزله كل خميس. بدأت في أواخر شوال ١٤١٢هـ وانتهت في الخميس ١٤ صفر، عام ١٤٢١هـ- مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية: http://www.islamweb.net.

٣٦. مجموع الفتاوى، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية الحراني، المحقق: عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، عام النشر: ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.







٣٧. مسند الإمام أحمد.
٣٨. مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.
٣٩. مقاييس اللغة: معجم مقاييس اللغة، المؤلف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين، المحقق: عبدالسلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ -١٩٧٩م.
٤٠. منهج الأشاعرة في العقيدة، المؤلف: سفر بن عبدالرحمن الحوالي، الناشر: دار منابر الفكر.
٤١. المغني في أبواب التوحيد والعدل - إملاء القاضي أبي الحسن عبدالجبار بن أحمد، الجزء الخامس عشر: التنبؤات والمعجزات تحقيق: محمود الخضيري – محمود قاسم مراجعة: إبراهيم مدكور – إشراف طه حسين، المؤسسة العصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر – الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة ١٣٨٥-١٩٦٥م.
٤٢. النبوات، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن عبدالله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي، المحقق: عبدالعزيز بن صالح الطويان، الناشر: أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.
٤٣. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط ابن علي بن أبي بكر البقاعي، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة
٤٤. نقض أصول العقلانيين، المؤلف: سليمان بن صالح الخراشي، الناشر: دار علوم السنة.

